

## الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم

(دراسة موضوعية في ضوء آراء سرسيد احمد خان الهندي)

\*الدكتور تاج افسر

### Abstract

The Holly Quran is last divine book of righteousness for mankind. Allah almighty has himself ensured its security and sanctity. it is miracle and open challenge to bring any of the surah( chapter) of its kind .This challenge of Allah almighty remains unbeatable after the passage of centuries and will remain open for mankind till the day of judgment. For no one dares to accept this challenge of Allah almighty .The entire umah unanimously upholds miraculous entity of the Holy Quran .There are various aspects of this Quranic miracles .one among these is language .Human logic is confused whether Quranic miracle of language exist or not .and also if it is a linguistic miracle,this challenge is only for Arabs or for the whole mankind .Ahle sonnet school of thought believe in the Quranic miracle of language .However some other scholars are of the opinion that Quranic miracle lies in is guidance and righteousness not in the Arabic language .sir syed Ahmad khan strongly criticizes the Quranic miracle of language . He is strong believer of Quranic miracle of righteousness and enlightens .in the subject paper, in addition to the introduction of sir syed Ahmad khan ,his opinion and that of ahle –sonnet has been compared with logical arguments and analytical reasoning.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين و الصلوة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين، سيدنا ونبينا محمد و على آله وصحابة و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:  
فَلَقَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْبَشْرِيَّةِ إِذَا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ وَاحِدٍ مِّنَ الْكُتُبِ قَبْلَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ لَهُدَايَتِهِمْ وَ تَطْوِيرُهُمُ الْمَادِيُّ وَالْحَضَارِيُّ

---

\* الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد. باكستان

والعقلى والروحى ثم أنزل عليهم القرآن الكريم ليخرجهم من الظلمات إلى النور وليرحمنهم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

و لما كان القرآن الكريم منزلًا من عند الله تعالى ، تحدي العالم عند انكارهم فلم يستطعوا أن يعارضوه مع كونهم فرسان البيان و شهerten في الفصاحة و البلاغة و عجزوا عن أن يأتوا شيئاً حتى ولو بسورة من مثله . فثبت بذلك إعجاز هذا الكتاب العزيز .

#### **الهدف من البحث:**

لا شك بأن القرآن معجزة خالدة تحدى الناس أن يعارضوه فلم يستطعوا ، وهذا قد تم الإنفاق عليه سلفاً وخلفاً من أمّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أكبر دليل على إعجازه ، ثم اختلفوا هل التحدي قائم للعرب أو للناس جميعاً منهم العرب والعجم مع أنهم ليسوا من أهل اللغة وكيف ذلك وهم ليسوا مكافين بذلك لأن العجمية مانعة من التحدي فأهل العلم انقسموا فيه إلى طوائف :

- طائفة تقول بإعجازه من جهة اللغة
- وطائفة تقول به من جهة الهدایة والتشريع لا من اللغة
- وطائفة يجمع بينهما قائلاً بإعجازه اللغوى لأهلهما والتشرىعى لمعادها

والهدف من البحث، كشف الغبار عن الحقيقة فى الباب

أما مشكلة البحث فقد تكلم أهل العلم في عدة نواحي من إعجازه منها: الإعجاز اللغوي والإعجاز البياني والتشريعي والعلمى . فاختارت الإتجاه اللغوي من إعجازه فيضوء آراء أحد مفسرى شبه القارة الهندية ألا وهو سرسيد أحمد خان لأنه يطعن في أن القرآن معجزة للناس جميعاً من جهة اللغة العربية ويرد على مخالفيه بعنف وشدة إذن يرد السؤال أن:

- ماحقيقة الإعجاز القرآنى ؟
- ماموقف الشيخ سر سيد أحمد خان من الإعجاز اللغوى ؟ او قسمت مقالته هذه إلى مباحثين أساسين:

#### **المبحث الأول:**

التعریف بالشيخ أحمد خان وفيه الكلام عن نشأته وتعلیمه وشیوخه وحركاته التعليمية ومؤلفاته ووفاته.

#### **المبحث الثاني:**

معنى الإعجاز لغة واصطلاحاً وموقف سر سيد أحمد خان منه سائل المولى عزوجل أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع وأن يجعله في ميزان حسناتي يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

#### **المبحث الأول:**

قبل أن أتكلم عن الإعجاز اللغوي لغة و اصطلاحاً و موقف الشيخ سيد أحمد خان من ذلك، من الضروري أن نتعرف على شخصيته فنقول:

**اسم ونسبة:**

هو أحمد بن محمد التقى بن محمد الهدى الشهير بـ "سرسيد أحمد" (i) و "سر" لقب له منه الإنجليز (ii) تقديرًا لبعض خدماته، و "سيد" كلمة تطلق في شبه القارة الهندية - على من يبلغ نسبة إلى أحد أفراد أهل البيت (iii) و سرسيد - كما يأتي - يرجع نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

و قد ذكر سرسيد في أحد مصنفاته نسبة هكذا:

سيد أحمد خان بن سيد محمد التقى بن سيد محمد الهدى بن سيد محمد العمامد بن سيد برهان بن سيد محمد دوست بن سيد عزيز بن سيد الحافظ أحمد حتى ..... إلى فاطمة الزهراء بنت رسول صلى الله عليه وسلم من جهة والده. (iv)

**ألقابه:**

منح سرسيد أحمد ألقاباً عديدة وهي:

- جواد الدولة عارف جنك: لقبه بذلك الملك بهادر شاه ظفر. (v)
- سي- اي- اي: منحه له حاكم الهند (ديوك أوف أرجانل) (vi) خلال إقامته في لندن (vii)
- ك- سي- اي- اي: لقبته بذلك الحكومة الإنجليزية في الهند. (viii)

**مولده:**

ولد سرسيد أحمد خمساً من ذي الحجة سنة 1232هـ الموافق 1817م في دهلي (ix) بالهند. (x)

<sup>i</sup>- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي بن فخر الدين الحسيني، طبادرة تأليفات الشرقية، ملتان، 37/8، 180/1، 2000م، لاہور، بیشیر برنتز.

<sup>ii</sup>- حیات جاوید، لاطائف حسین حالی، طراہ بشیر برنتز، لاہور، 2000م، ص 248  
<sup>iii</sup>- فیروز اللغات، فیروز الدین، ط. فیروز سنز لمیتید، لاہور، پاکستان، 1964م، ص 180

<sup>iv</sup>- الخطبات الأحمدية في العرب والسير المحمدية ، للسرسيد أحمد خان، ط. مسلم برنتک بربس، لاہور، س.ن.ص، 352

<sup>v</sup>- الملك الفاضل أبو ظفر بن أكبر شاه بن شاه عالم التيموري الذهلي، أبو ظفر سراج الدين بهادرشاه كان من الرجال المعروفين في العائلة الملكية، ولد سنة 1189هـ ونشأ بدار الملك دهلي، وجلس على سرير الملك بعد أبيه سنة 1253هـ وتوفي في مدينة (رنجون) سنة 1278هـ . (نزهة الخواطر 20/21)

<sup>vi</sup>- ذكره صاحب تذكرة سرسيد أحمد خان ولم أثغر على ترجمته.

<sup>vii</sup>- تذكرة سرسيد أحمد خان، لزاده جوہری، طبشرکت برنتک بربس، لاہور، پاکستان، س.ن.ص، 35

<sup>viii</sup>- حیات جاوید 323/1 وما بعدها

<sup>ix</sup>- دهلي؛ هي ثانية أكبر مدينة هندية بعد مومباي. تقع دهلي في شمال الهند على صفاف نهر جمنا يقطنها حوالي 13 مليون نسمة و هي مقر جامعة دهلي باستقلال ذاتي و لها برلمان منذ سنة 1991م [اردو دائرة معارف اسلامية، ط داش کاہ بنجاب، لاہور، طبعة الثانية 1980م. 9/496-507]

**نشاته:**

نشأ سرسيد أحمد في جو مشبع بالتصوف فوالده محمد التقى - رحمه الله - كان قد بايع الشيخ غلام على<sup>(xi)</sup> رحمه الله - و لازم زوايته<sup>(xii)</sup> و أمه عزيز النساء بيكم<sup>(xiii)</sup> كانت باياعت السيد أحمد البريلوي - رحمه الله<sup>(xiv)</sup>.

و أمه هي التي تربى سرسيد أحمد في حجرها، أما والده فكان لعزوفه عن الدنيا ولمازته زاوية الشيخ غلام علي لم يصرف عناته إلى تربية ولده. ومن هنا كانت مسؤولية تربية السرسيد أحمد ملقاة على عاتق أمه، وقامت هي بتربيته أحسن قيام.<sup>(xv)</sup>

**تعليميه:**

قرأ سرسيد احمد خان القرآن العظيم على معلمة في أسرته<sup>(xvi)</sup> ثم قرأ في الأدب الفارسي: "كلستان" و "بوستان" للشيخ مصلح بن عبدالله سعدي شيرازي (691هـ) و في البلاغة: "مختصر المعانى" وبعضا من "المطول" لمسعود بن عمر التفازانى في اللغة العربية على علماء بلاده<sup>(xvii)</sup>.

**في المنطق:** شرح "التهذيب" لعبد الله بن حسين (1015هـ) "هدایة الحکمة" لمیر حسین المیذنی (1295هـ)<sup>(xviii)</sup>

**في الفقه و أصوله:** "القدوری" و "شرح الوقایة" و "أصول الشاشی" و "نور الأنوار".<sup>(xix)</sup>  
**في الحديث:** "المشکاة" وقدراً صالحها من "جامع الترمذی" وبعضا من "صحیح مسلم".

<sup>x</sup>- حیات جاوید، 1/25-26.

<sup>xi</sup>- غلام على، هو الشيخ الإمام العالم الزاهد غلام على بن عبد اللطيف العلوي النقشبendi البنالوي ثم الدھلوي أحد الأولياء السالكين، ولد سنة 1156هـ ببلدة بناله من بلاد بنجاب ونشأ بها، ولما توفي شيخه المذكور تولى الشياخة مكانه، فحصل له القبول العظيم وتكثر عليه العلماء والمشايخ وعامة الناس من كل صنف وطبقة من العرب والعلماء. مات سنة 1248هـ [نزہۃ الخواطر، 7، 1055/7].

<sup>xii</sup>- حیات جاوید، 1/37.

<sup>xiii</sup>- ذكرها صاحب نزہۃ الخواطر و أنا لم أعنّ على ترجمتها.

<sup>xiv</sup>- هو أحمد بن عرفان بن نور الشريف الحسني البريلوي، كان من ذرية الأمير الكبير بدر الملة المنير شيخ الاسلام قطب الدين محمد بن أحمد المدني. ولد في صفر سنة 1201هـ ببلدة رأئي بريلي في زاوية جدة السيد علم الله النقشبendi البريلوي، غالب عليه شوق الجهاد في سبيل الله، قتل شهيداً سنة 1246هـ [نزہۃ الخواطر، 7، 899/7] و انظر نفس المصدر، 8/176.

<sup>xv</sup>- حیات جاوید، 1/37.

<sup>xvi</sup>- تذكرة سرسيد، ص، 8.

<sup>xvii</sup>- حیات جاوید، 1/53-54.

<sup>xviii</sup>- نزہۃ الخواطر، 8/1175.

**شيوخه:**

واما الشيوخ الذين تلمذ على أيديهم كثيرون منهم:

1- الحكيم غلام حيدر خان<sup>(xx)</sup>

2- الشيخ نوازش على<sup>(xxi)</sup>

3- الشيخ فيض الحسن<sup>(xxii)</sup>

4- الشيخ مخصوص الله<sup>(xxiii)</sup> وأسند عنه القرآن الكريم

**تأسيس الجمعية العلمية بعليكرة:**

وببدأ سيد أحمد خان خطته في الارتقاء بمستوى التعليم لدى المسلمين لإيمانه بأنه السبيل إلى النهوض بهم؛ فقام بتأسيس جمعية علمية أدبية في "غازي بور"<sup>(xxv)</sup> سنة 1280هـ/1863م، كان الغرض منها نشر الآراء الحديثة في التاريخ والاقتصاد والعلوم، وترجمة أهم الكتب بالإنجليزية في هذه الموضوعات إلى اللغة الأردية<sup>(xxvi)</sup> حتى يستفيد منها أكبر عدد ممكن.

<sup>xxix</sup>. - حيات جاوید، 1/65.

<sup>xx</sup>- الشيخ الفاضل غلام حيدر بن نامدار الكشميري الدهلوi الحاذق، ولد ونشأ بدھلی، وقرأ العلم على الشيخ عبد القادر بن ولی الله الدهلوi، ثم أخذ الصناعة الطبية عن الحكيم شریف بن أکمل الدهلوi. (نزہۃ الخواطر، 8/1054 او اثار الصنادید، ط. اردو اکادمی، لکھو، ہند 1990م ص، 513) (لم اُفق على تاریخ ولادتہ ووفاتہ).

<sup>xxi</sup>- الشيخ العالم الفقيه نوازش على الحنفي الدهلوi أحد العلماء المذكرين، أخذ الحديث عن الشيخ إسحاق بن أفضل الدهلوi سبط الشيخ عبد العزيز ، وقرأ الكتب الدراسية على غيره من العلماء، وكان حليماً قانعاً متوكلاً، حسن الأخلاق، ربما يعقد في بيته مجلس التكثير، وربما يدعوه المسلمين في بيوتهم للتذکیر، (اثار الصنادید، ص، 528 ونزہۃ الخواطر، 7/558-559) (لم اُفق على تاریخ ولادتہ ووفاتہ).

<sup>xxii</sup>- الشيخ العالم الكبير العلامة فيض الحسن بن علي بخش بن خدا بخش القرشي الحنفي السهارنوری، كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماء، لم يكن في عصره أعلم منه بال نحو واللغة والأشعار وأیام العرب وما يتعلق بها متوفراً على العلوم الحكمية، توفي سنة 1304هـ [نزہۃ الخواطر، 8/1328]

<sup>xxiii</sup>- هو مخصوص الله بن رفیع الدھلی، کان أحد الفقهاء الحنفیة ومقرئاً فی دروس عمه الشیخ عبد العزیز الدهلوی ، توفی سنه 1271 م 1273 هـ [تنکرۃ علماء ہند] ، لرحمن علی مترجم: محمد ایوب القادری، ط. طبع مشہور آفست، کراتشی، پاکستان 1961م، ص 490

<sup>xxiv</sup>- تنکرۃ السرسید، ص 9 و نزہۃ الخواطر، 8/1176

<sup>xxv</sup>- غازی بور' مدینۃ ولایۃ ابردیش بالھند علی نهرالجنج. مرکز لزراعۃ الارز والافیون. [ اردو دائر المعارف، 1/423]

<sup>xxvi</sup>- حيات جاوید، 1/139-140.

وعندما انتقل إلى "عليكرة" سنة (1381هـ=1864م) نقل معه مقر الجمعية التي واصلت نشاطها في نشر الأبحاث والمقالات وترجمة الكتب الحديثة، ودعم نشاطها بإصدار مجلة تحمل اسم الجمعية، كان ينشر على صفحاتها أفكاره الإصلاحية، ومقالاته التي تدعو مسلمي الهند على اليقظة والنہوض.<sup>(xxvii)</sup>

قام في أثناء انشغاله بالعمل الإصلاحي بإنشاء مدرستين يلتحق بها جميع طوائف الهند، لكنه أدرك بعد فترة عدم جدوی ذلك بعد أن ارتفعت أصوات الهنودس طالب بإيقاف التعامل باللغة الأردية والخط الفارسي في جميع المحاكم والإدارات الحكومية.<sup>(xxviii)</sup> تأسیس "المؤتمر التعليمي الإسلامي":

سرسید أحمد خان إلى أن يعقد كل عام مؤتمراً خاصاً بالتعليم يجتمع فيه قادة المسلمين من أقاليم الهند المختلفة، لبحث أمور التعليم ووسائل النہوض به، وكيفية نشر التعليم الحديث بين المسلمين، وإقامة المدارس. وكان هذا المؤتمر يعقد كل عام في مدينة من أهم مدن الهند وعقد هذا المؤتمر لأول مرة سنة (1869هـ=1864م) في الكلية الإسلامية الشرقية في عليكرة. وقد أحدث عقد هذه المؤتمرات يقظة عند المسلمين، وإثارة الوعي لديهم، وفتحت أبواب العمل على إنشاء كليات جديدة على غرار كلية عليكرة، وتشجيع المسلمين على الإقبال على التعليم الجديد بعد أن قاطعوا الكليات التي أنشأها الإنجليز.<sup>(xxix)</sup>

**وفاته:**

توفي السرسید أحمد بعد حياة حافلة بالأعمال والنشاطات متعددة الجوانب والأغراض في 4 من ذي القعدة 1315هـ الموافق 1897م أصابه الصداع الشديد والحمى، وفارق الحياة في الليل، ودفن بجوار مسجده الذي بناه في وسط الجامعة.<sup>(xxx)</sup>

**مؤلفاته:**

لسرسید مؤلفات عديدة منها:

- 1- تفسیر القرآن الكريم وهو الهدی و الفرقان، مطبوع متداول
- 2- أسباب بغاوت هند، ط. خدا بخش اورینتل بیلک لائبریری، بتنة، س.ن.
- 3- تحقيق لفظ نصاری. أنا مع جهد لم اطلع عليه .
- 4- تبیین الكلام فی تفسیر التوراة و الانجیل علی ملة الإسلام، ط.مکتبة أحوث، لاھور، باکستان، س.ن.

<sup>xxvii</sup>- حیات جاوید 1/318.

<sup>xxviii</sup>- نفس المصدر، 1/418-419.

<sup>xxix</sup>- سرسید کی تعلیمی تحریک، ، لأنثر الواسع، ط.مکتبة جامعة لمتید، دھلی، 1985م، ص، 23

<sup>xxx</sup>- حیات جاوید 1/346-348 و نزہہ الخواطر، 8/1175.

- 5- أحكام طعام أهل كتاب. أنا مع جهد لم اطلع عليه.
- 6- الخطبات الأحمدية في العرب والسير المحمدية. ط. سرسيد أكيدمى، عليكير، 2003م.
- 7- إبطال غلامي. (إبطال الرق في الإسلام). أنا مع جهد لم اطلع عليه.
- 8- مقالات سرسيد، رتبه محمد إسماعيل. ط. زرین آرت بريس، لاھور، 1962م.
- 9- إزالة العين عن ذى القرنين. ط. محمد كالج بك دبو، على كره، 1910م.
- 10- مقدمة التحرير في أصول التفسير، مطبوع مع تفسيره.
- 11- مضامين سرسيد أحمد خان، رتبه: عتیق احمد صدیقی، ط. دوست ایسوایتس ، لاھور، س.ن.
- 12- جلاء القلوب بذكر المحبوب، أنا مع جهد لم اطلع عليه.
- 13- آثار الصناديد، اردو اکادمی، لکنہو، الہند، 1990م.

### المبحث الثاني:

#### الإعجاز لغة و إصطلاحاً:

لفظ الإعجاز مشتق من مادة (عجز)، وهي تدلُّ على معنيين أصليين، هما: الضَّعْفُ وَمُؤَخِّرُ الشيء<sup>(xxxii)</sup>. فالأول عَجزٌ عن الشيء عَجزٌ يعجز عَجزًا، فهو عاجزٌ، أي ضعيف. والمعجزة والمعجزة العجز<sup>(xxxiii)</sup>. ويقال: أعجزني فلان، إذا عَجزْتُ عن طلبه وإدراكه<sup>(xxxiv)</sup> وأعجزه الشيء، أي فاته<sup>(xxxv)</sup>. في الآخر: «وَلَا تَلْثُوا بِدارِ مَعْجَزَةٍ» أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش<sup>(xxxvi)</sup>.

<sup>xxxii</sup>- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، حققه: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، 1399هـ/1979م، 4/232.

<sup>xxxiii</sup>- انظر مقاييس اللغة، 232/4، لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر، بيروت، س.ن/5، 430.

<sup>xxxiv</sup>- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، ط: مطبعة حكومة الكويت س.ن، 12/211.

<sup>xxxv</sup>- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، حققه: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ/2007م

<sup>xxxvi</sup>- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصارى الرويوفى الإفريقي (711هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، 5/430، والأثر نسبه ابن منظور إلى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه.

من الثاني، عجز الشيئ عجزه عجزه و عجزه آخره.<sup>(xxxvi)</sup>  
 فلان عجزة ولد أبويه، إذا كان آخرهم.<sup>(xxxvii)</sup>  
 و عَجْزُ بَيْتِ الشِّعْرِ خَلَفَ صَدْرَه.<sup>(xxxviii)</sup>  
 و منه قول الحكماء لا تدبروا أتعاز أمور قد ولت صدورها و يربى بها أواخر  
 الأمور و صدورها.<sup>(xxxix)</sup>

**الإعجاز اصطلاحاً:**

الإعجاز في الاصطلاح هو "أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من  
 الطرق".<sup>(xl)</sup>

#### الإعجاز القرآن بالمعنى الإضافي:

و معنى إعجاز القرآن باعتبار مركباً إضافياً. إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم  
 به.<sup>(xli)</sup> ثم المطلوب من الإعجاز القرآني ليس الإعجاز لذاته، وإنما لازمه وهو إثبات أن هذا  
 الكتاب حق وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق.<sup>(xlii)</sup>

#### وجوه إعجاز القرآن الكريم:

إن مما هو معلوم أن القرآن الكريم أعظم معجزة أنزل الله على سيدنا محمد صلى الله عليه  
 وسلم (وقالوا لو لا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبيناً ولم يكفهم  
 أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)<sup>(xliii)</sup>  
 لذلك حاول العلماء معرفة إعجاز القرآن من أي وجه هو؟ قد خاضوا في ذلك فاختافت  
 أنظارهم و تبaitت آراءهم. فمنهم من اقتصر على وجه واحد، ومنهم من نوع و عدد وجوه  
 الإعجاز في القرآن حتى أنهاها الإمام السيوطي إلى خمسة و ثلاثين وجهاً.<sup>(xliiv)</sup>

<sup>xxxvi</sup>- المصدر السابق، 432/5

<sup>xxxvii</sup>- الصلاح، 750/2

<sup>xxxviii</sup>- تاج العروس، 214/15

<sup>xxxix</sup>- لسان العرب، 432/5

<sup>xl</sup>- التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، 1405، ص، 47

<sup>xli</sup>- منهاج العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ، 1996، 238/2، 238/2

<sup>xlii</sup>- نفس المصدر 238/2

<sup>xliii</sup>- العنكبوت، 50-51، وقد أورد الإمام الباقلي أدللة قرآنية كثيرة لإثبات كون الله تعالى جعل معجزة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن و أنه بنى نبوته عليه. راجع كتابه: إعجاز القرآن، ط. عالم  
 الكتاب، بيروت، 1977هـ/1908م، ص، 24 و ما بعدها.

و فيما يلي ذكر أهم الآراء في إعجاز القرآن.

**الرأي الأول:** هو أن وجه إعجاز القرآن اشتتماله على البلاغة التي تقاصر عنها سائر ضروب البلاغات بذهب إلى هذا الرأي الجاحظ<sup>(xlv)</sup> رحمه الله.

**الرأي الثاني:** هو أن وجه الإعجاز مركب من أمور ثلاثة هي: أخبار الغيب التي أخبر عنها القرآن قبل أن تحدث. والأخبار عن الأمم الماضية مع أمية الرسول صلى الله عليه وسلم ونظم القرآن البديع. هذا رأي الباقلاني<sup>(xlvi)</sup> رحمه الله.

**الرأي الثالث:** هو أن وجه الإعجاز الكريم كامن في اختصاصه برتبة في الفصاحة خارجية عن العادة. جنح لهذا الرأي القاضي عبد الجبار<sup>(xlvii)</sup> رحمه الله.

**الرأي الرابع:** هو أن إعجاز القرآن في نظمته البديع وهو قول الجرجاني<sup>(li)</sup> رحمه الله.

<sup>xliv</sup>- معرك القرآن في إعجاز القرآن، للسيوطى، حققه: علي محمد الباچاوي، ط: دار الفكر، القاهرة، س.ن. 14-145 وعند التحقيق يظهر أن كثيراً من هذه الأوجه تدرج مع غيرها و تتوزع جميعاً إلى أربعة أوجه هي: 1- وجه الإعجاز البیانی. 2- وجه الإعجاز العلمي. 3- وجه الإعجاز التسريعي. 4- وجه أنباء السابقين و أخبار المستقبل. راجع: إعجاز القرآن لفضل حسن، ص، 164، (بدون البيانات).

<sup>xlv</sup>- الجاحظ: هو عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثما نابصري، ولد سنة ثلث و ستين و مائة الهجرية، كان كبيراً أئمة الأدب من أحد شيوخ المعتزلة و المصتفين لهم. توفي سنة خمسة و خمسين و مائتين و قيل ست. من آثاره: التبيان و التبيين، الحيوان، البخلاء، وغير ذلك. [راجع ترجمته في: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ط: نشر دار الكتاب العربي، بيروت، س.ن. 220-212] و طبقات المعتزلة، لأحمد المرتضى، حفظه: نخبة من العلماء، 1380هـ/1960م، الأعلام، 73/5]

<sup>xlvi</sup>- الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر المالكي البصري، ولد سنة ثلاثة و ثلاثمائة هجرية. كان إماماً متكلماً بارعاً أصولياً فانقاً انتهت إليه رئاسة المالكية و مذهب الأشاعرة في وقته. توفي سنة سنتلات و أربعمائة. من آثاره إعجاز القرآن، دفائق الكلام، التمهيد و غير ذلك. [تاريخ بغداد، 5/379-383، الأعلام، 73/5]

<sup>xlvii</sup>- انظر إعجاز القرآن، للباقلاني، 50-52

<sup>xlviii</sup>- عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار القاضي أبو الحسن الهمذاني، كان إماماً أهل الاعتزال في زمانه وكان ينتحل مذهب الشافعى في الفروع. توفي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعين من آثاره: تنزيه القرآن عن المطاعن، المغني في أبواب التوحيد والعدل و غير ذلك. [طبقات الشافعية الكبرى، الإمام العلامة / تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكى، ط: هجر للطباعة و النشر والتوزيع، 1413هـ/3-116-117، طبقات المعتزلة، ص، 112-113، الأعلام، 3/273-274] (لم أقف على تاريخ ولادته)

<sup>xlix</sup>- انظر المغني في أبواب العدل و التوحيد، عبد الجبار، حققه أمين الخوبى ، ط: دار الكتب، القاهرة، 1380هـ/1960م، 318/15

<sup>l</sup>- عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر كان من كبار علماء اللغة و واضح أصول البلاغة. توفي في سنة إحدى وسبعين وأربعين. من آثاره: أسرار البلاغة، ولائل الإعجاز، المغني في شرح الإيضاح و غير ذلك. [راجع ترجمته في: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد

وقد ظهر في العصر الحديث اتجاه جديد لإعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز العلمي اهتم بالجانب العلمي للقرآن الكريم، ومن أشهر هذه الوجوه هو إعجاز القرآن من جهة اللغة والفصاحة والبلاغة ومن جهة ما تضمنه من العلوم الكونية والطبيعية، و ذلك بالاستعانة بالمكتشفات الحديثة.

### موقف سرسيد أحمد خان من الإعجاز اللغوي:

تناول السرسيد أحمد عند تفسيره لقوله تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبادنا فأتوا بسورة من مثله) <sup>(iii)</sup> مسألة إعجاز القرآن الكريم. وفيما يلي استجلاء لموقفه من هذه المسألة.

أولاً: يرى سرسيد أن القرآن الكريم قد وقع إليه التحدي الإلهي، وأن هذا التحدي صرف إلى قوم كانوا لا يعتقدون القرآن كلام الله موحى إلى نبيه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم. يقول وهو يفسر آية التحدي المذكورة.

"خاطب الله المتشككين في كون القرآن من عنده تعالى إزالة لربهم بأن: إنكم غير معتقدية و حيا من الله بسورة مثله". <sup>liii</sup>

أما ما هو مناط التحدي عند السرسيد؟

إن القرآن الكريم من وجهة نظر سرسيد بلغ من حيث الفصاحة والبلاغة مبلغًا لا يرتقي إليه كلام البشر فيقول:

"بما أن القرآن وحيٌ و نسمية و حيا متلوأ أو كلام الله- ألقى في قلب النبوة للنبي صلى الله عليه وسلم باللفظ دون المعنى، لزم أن تكون فصاحة بحيث لا يوجد لها نظير و لا مثيل" <sup>(liv)</sup>

الرحمي السيوطي (911هـ)، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، 136/2، الأعلام، 48/4] (م) أقف على تاريخ ولادته <sup>li</sup>

لخص الجرجاني معنى النظم عنده في قوله: "إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو"، و معنى كون الكلام يوضع موضعًا يقتضيه علم النحو عنده أن يكون ترتيب أجزاءه من اسم و فعل و حرف موافقاً لقواعد النحو، كان يكون ترتيب بين اسمين ، كقولنا: الوحدة قوة، أو بين اسم و فعل مثل: ربح المجاهدين. أو يكون هناك حرف يربط بين الأسماء والأفعال، كقولنا: نصلى في الأقصى. هذا هي البتة الأولى في النظم خند الجرجاني. و هناك لبنة ثانية لا بد منها و هي ترتيب المعانى في النفس أو لا ثم اختيار الألفاظ تتفق مع هذه المعانى. وبالإختصار تتلخص نظرية النظم عند الجرجاني في أمرتين: أولهما: ترتيب المعانى في النفس، و الثانية: ترتيب الكلمات في النطفر [راجع التفصيل في: دلائل الإعجاز، للجرجاني، تعلق: محمد التجي، ط: دار الكتب العربي، بيروت، 1420هـ/1999م، ص، 76-81، إعجاز القرآن الكريم: لفضل حسن، 69-72]

<sup>lii</sup>- البقرة، 23

<sup>liii</sup>- تفسير القرآن، سرسيد أحمد خان، ط: دوست ايسوسی ایتس، لاھور، س.ن. 1/36

<sup>liv</sup>- تفسير القرآن، 37/1

مع اعتراف السرسيد للقرآن الكريم بعلوّ مقامه و سموّ مكانته من جهة فصاحة و بلاغة على سائر كلام البشر ، فإنه لا يعتبر إعجازه من الجهة اللغوية.<sup>(iv)</sup> وقد صدر السرسيد في إنكاره هذا عن دليل من القرآن الكريم، بالإضافة إلى استشهاده بواقع كلام الناس.

أما الدليل من القرآن فقول الله عزوجل: (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين)<sup>(v)</sup>

يقول سرسيد مبينا وجه دلالة هذه الآية على فكرته:

"التوراة ليست فصيحة و إنما هي كلام عادي؛ لأن جميع مضامينها- عدا التشريعات القومية و الموضوعات التاريخية التي أضافها إليها جامعوها- ليست وحيا باللفظ، سوى الأحكام العشرة التي كتبها موسى بيده ظاهر ان القرآن مهمما كان فصيحا، فإن التحدى ليس على فصاحته و بلاغته و نظمه".<sup>(vii)</sup>

و هذا الكلام من سرسيد في تبيين وجه دلالة الآية على مطلوبه يقتضي الشرح و البيان. فوجه الدلالة من الآية الكريمة على نفي وقوع التحدى بالفصاحة و البلاغة عند سرسيد أنها وردت في جواب من أعلنوا الكفر بالتوراة و القرآن. فهي تطالبهم في مقابل كفرهم أن يأتوا الكتاب يتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم شريطة أن يكون الكتاب من عند الله و أن يكون أهدي من التوراة و القرآن. و هذا الطلب الذي قرن في الآية بين التوراة و القرآن قد فهمه سرسيد على أنه تحدّ. مما يدل على أن الفصاحة و البلاغة لو كانتا مناط التحدى القرآني، لما جاء ذكر القرآن في هذا السياق مع التوراة التي هي ليست فصيحة.

و كذلك رأيه في التوراة من أنها وحيا بالمعنى دون اللفظ يفهم منه أن القرآن لكونه قرن في الآية بينه و بين التوراة وحيا بالمعنى. و إذا كان الأمر كذلك فإن التحدى فيه لا يصح أن يكون من جهة ما تضمنه من الفصاحة و ما اشتمل عليه من النظم؛ لكونها مما يتعلق باللفظ، و القرآن ليس موحي باللفظ.

و أما استشهاد سرسيد بواقع كلام الناس على نفي الإعجاز من فصاحة القرآن و بلاغته، فيوضحه النص الآتي لكلامه." يوجد كثير من الناس ما لم يماثل كلامهم في الفصاحة و البلاغة كلام آخر ، و لم يعتبر مع ذلك أنه كلام الله".<sup>(viii)</sup>

<sup>lv</sup>- انظر تفسير القرآن، 36/37،

- القصص، 49،

<sup>lvii</sup>- تفسير القرآن، 1/37،

<sup>lviii</sup>- تفسير القرآن، 1/37،

ثانياً: تقدم أن سرسيد أقرّ وقوع التحدي إلى القرآن الكريم، و إذا كان الوجه البلاغي ليس إعجازاً للقرآن و مناط التحدي به عنده، فأي وجه ذلك الذي يصح اعتبار القرآن معجزاً و متحدى به من جهة في نظره؟ ذهب سرسيد إلى أن ما اشتمل عليه القرآن الكريم من الهدایة هو الوجه في إعجازه و عليه وقع التحدي به.

و قد أنس سرسيد رأيه هذا على آية سورة القصص ذاتها و حال رسول الله صلى الله عليه وسلم و العرب الجاهليين. و قد تقدم أن الآية الكريمة مسوقة للتحدي في نظر سرسيد فما ورد فيها من ذكر للهداية هي مناط التحدي القرآني عنده. و لذلك يقول في تفسيرها منتصراً لرأيه: "قل للكفار أن يأتوا بكتاب هو أهدى من التوراة و القرآن. التوراة ليست فصيحة و إنما هي كلام عادي؛ لأن جميع مضامينها- عدا التشريعات القومية و الموضوعات التاريخية التي أضافها إليها جامعوها- ليست وحيا باللفظ، سوى الأحكام العشرة التي كتبها موسى بيده، فظاهر أن القرآن مهما كان فصيحاً، فإن التحدي ليس على فصاحته و بلاغته و نظمه و إنما على هدایته".<sup>(lix)</sup>

و أما اشتهرade بواقع رسول الله صلى الله عليه وسلم و العرب الجاهليين، فيتولى توضيحه النص الآتي من كلامه.

"إن المخاطبين بهذه الآيات (يقصد آيات التحدي) هم العرب، و عليه فينغي رسم صورة في الذهن لحال العرب وقت نزول القرآن الكريم بحيث تثبت أمم الأعين. كان العرب قوماً نهاباً سراقاً قطاع الطريق. البغض و العداوة و الحقد التي هي أحسن الخصائص الإنسانية تغلغلت في عروقهم. سارت بينهم إراقة الدم و الضراوة و قتل الأولاد لدرجة لا يوجد لها نظير في أمة أخرى تختم عليهم الجهل و الأممية، كان شغفهم الشاغل شرب الخمر و عبادة الأصنام، كانوا مبتعدين عن الأمم الأخرى في مكان لم يصلهم فيه نور العلم و التربية. ثم ظهر من بينهم رجل قضى بين ظهرانيهم أربعين عاماً من عمره بالنور الرباني الذي جعله الله في نفسه بمقدسي الفطرة. فبيّن في صراحة حقائق التربية الروحية في عبارات كان العالم و الفيلسوف و الدهري و الجهل و البدو على السواء في الاستهداء منها، و التي لم يكن بالإمكان أن يبيّنها غير الله. لم يكن بالإمكان بحسب قانون الفطرة أن تكون مثل هذه الأفكار و الأقوال و المواقف التي ورد ذكرها في القرآن صادرة من رجل من هذا القوم بدون فطرة النبوة التي أودع الله إياها في أنبيائه .... و فيه قال الله: إن كنتم تشكون في كونه من عند الله (فأتوا بسورة من مثله)".<sup>(lx)</sup>

<sup>lix</sup>- المصدر السابق، 37/1-38

<sup>lx</sup>- تفسير القرآن، 1/9-38

**تحليل موقف سرسيد:**

لقد علمنا من خلال العرض السابق ما انتهى إليه سرسيد أحمد من الرأي في إعجاز القرآن الكريم. و هو رأي خرق به السرسيد إجماع علماء المسلمين - قديماً و حديثاً - وهو أن الوجه اللغوي هو أعظم و أشهر وجه لإعجاز القرآن الكريم.<sup>(lxii)</sup> و إذا كان هذا الوجه قد انعقد على إثباته الإجماع من هؤلاء - أهل الفن - فإن إنكار سرسيد له مما يفضي إلى العجب.

و على أية حال، ففي السطور القادمة نتعرض لموقف السرسيد من إعجاز القرآن الكريم.

**أولاً:** عند من نرى بإمعان النظر في آية القصص وجدنا أن القرآن يتكلم عن الهدایة - ولا ريب في ذلك و لكن ليس ذلك محل التحدى حتى ينكر بها الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.

قال الشيخ ثناء الله<sup>(lxiii)</sup> رحمه الله - مستدركاً على سر سيد ربطه الآية بالتحدي: "ليس لهذا المضمنون (يقصد مضمون آية القصص) من علاقة بآية التحدى. وإنما فيه إلزام للكفار بأنكم رغم أنكم لا تملكون أي كتاب سماوي، فإنكم مع ذلك مصرون على المخالفة. فإن كنتم أيضاً على العلم بالدين فلتأنوا بكتاب يطلعكم عليه؛ ليتبين الحق بجانب من؟"<sup>(lxiv)</sup> وأورد قوله تعالى: (أم لكم كتاب فيه تدرسون)<sup>(lxv)</sup> تأييداً لقوله آنف الذكر في تقسير آية القصص. ثم قال ما يفيد:

(لو كانت آية القصص تقسيراً لآيات التحدى (كما يعبر به استدلال سر سيد) لوردعليه أن الآية فيها طلب من الكفار أن يأتوا بكتاب من عند الله تعالى. في حين أن آيات التحدى فيها طلب منهم أن يأتوا بكتاب من وضعهم).<sup>(lxvi)</sup> ثم أشار إلى تصرف سر سيد في تقسير آية القصص، حيث أهمل في التقسير ذكر قيد (من عند الله)؛ لأنه كان يضره.<sup>(lxvii)</sup> وإذ تبين من هذا البيان كون قوله تعالى (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم

<sup>lxii</sup>- انظر: الإعجاز البياني للقرآن (دراسة قرآنية لغوية و بيانية)، لعاشرة عبد الرحمن، ط: دار المعارف، القاهرة، س.ن. ص. 82، و إعجاز القرآن، لفضل حسن، ص. 29.

<sup>lxiii</sup>- ثناء الله ، هو ابن محمد الكشميري ثم الأمرستري، أحد الفضلاء المشهورين بالمناظرة. ولد سنة سبع وثمانين ومائتين و ألف من الهجرة. كتب في الرد على مرتضى غلام القادياني والآية. توفي سنة سبع وستين وثلاثمائة و ألف. من آثاره: تقسير القرآن بكلام الرحمن في تقسير القرآن ، التقسير الثاني، تقابل ثلاثة. [راجع ترجمته في نزهة الخواطر 8/105-106].

<sup>lxiv</sup>- التقسير الثاني،الأمرستري ،ثناء الله،بن محمد(1367هـ)،ط: إدارة ترجمان السنة،لاهور،س.ن. 1/44.

<sup>lxv</sup>- القلم، 37،

<sup>lxvi</sup>- النظر الكبير الثاني، 1/44.

<sup>lxvii</sup>- المصدر السابق، 1/45.

صادقين)<sup>(lxvii)</sup>ليس لها علاقة بمسألة التحدي، فاستدلال سرسيد بها على إثبات الهدایة الوجه في التحدي وضع لها في غير موضعها.

**تحليل استشهاد سرسيد بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم و العرب الجاهليين:**  
 لقد ذكرنا تبیین وجه استشهاد سرسيد بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم و العرب الجاهليين على جعل الهدایة الوجه المتحدي به القرآن. وهو منقوص بالبيان الآتي: إنه إن صاح جعل الهدایة مناط التحدي بناء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبق له وهو بين ظهري قومه الجاهليين - العلم بها، فإن هذا لا يصير مانعا من اعتبار الفصاحة والبلاغة وجها معجزا للقرآن ومناط التحدي به.  
 فأي ضير في اعتبار فصاحة القرآن التي لا يوجد لها نظير في كلام العرب وجه الإعجاز؟  
 وأي بأس في اعتبار بلاغة القرآن التي لا يوجد لها مثيل في كلام العرب وجه الإعجاز؟ فما الذي يحول دون اعتبار الفصاحة والبلاغة التي لا ترقى إليها همم العرب ولا تبلغها قدرتهم وطاقتهم وجه إعجاز القرآن ومناط التحدي به، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف من حاله أنه كان متربسا لأساليب كلام العرب وفنونه؟

لا شيء يحول دون الإعتبار ذلك بطبعية الحال، فلا اعتبار - إذن - لقصر سرسيد صفة الإعجاز والتحدي على هداية القرآن الكريم.  
 على أنا لو جعلنا واقع العرب معيارا للتحدي لصار قصر صفة التحدي على فصاحة القرآن وبلايته أمرا لا مندوح منه. ولنذكر بعض المواقف التي وقفها بعض العرب الجاهليين تجاه القرآن الكريم تأييدا لما قلناه آنفا: فهذا الوليد<sup>(lxviii)</sup> يقول في القرآن حينما تلى عليه بعض آياته قوله المشهور "وَاللَّهُ أَنْ لَقُولَهُ الَّذِي يَقُولُ لِحَلَاوَةً، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطْلَوَةً وَإِنَّهُ مُثْمَرًا أَعْلَاهُ مَغْدُقٌ أَسْلَفُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يَعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْتَمِلُ مَا تَحْتَهُ"<sup>(lxix)</sup> وهذا أبو جهل<sup>(lxx)</sup> يجتمع مع ملأ من

lxvii 49- القصص،

lxviii - الوليد، هو ابن المغيرة بن عبد الله أبو شمس. مات كافرا بعد الهجرة بثلاثة أشهر وهو ابن خمس و تسعين سنة [راجع: الكامل في تاريخ لابن الأثير، تعليق: مجموعة من العلماء، ط: دار الكتب العربي، بيروت، س.ن. 48/2]

lxix - أخرج هذه الرواية البيهقي في (دلائل النبوة) بإسناد عن ابن عباس، بباب: اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز وأنه لا يشبه شيئا من لغاتهم مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان. وذكر أن له أربع روایات أخرى وأن ذلك "يؤكد بعضا" [راجع دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد البيهقي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ/2002م، 199-200].

قرיש لينظروا في أمر دين الإسلام حيث هلעם انتشاره ، فكان مما جرى بينهم من الكلام: "لقد انتشر علينا أمر محمد فلو التمسم رجلا عالما بالسحر و الكهانة و الشعر فكلمه ثم أثنا ببيان من أمره . فقال عتبة<sup>(lxxi)</sup> (قد سمعت يقول السحرة والكهانة والشعر و علمت من ذلك علما وما يخفى علي إن كان كذلك فأتأه فلما أتأه قال له عتبة يا محمد أنت خير أم هاشم<sup>(lxxii)</sup>؟ أنت خير أم عبد المطلب<sup>(lxxiii)</sup>؟ أنت خير أم عبد الله<sup>(lxxiv)</sup>؟ فلم يجبه قال: فيما تشتت آهتنا، وتضلل آياعنا؟، فإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألوينتنا لكفنت رأسنا ما بقيت، وإن كان بك الباة<sup>(lxxv)</sup> زوجناك عشر نسوة تخثار من أي أبيات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغنى بها أنت وعقبك<sup>(lxxvi)</sup> من بعدهك، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساكت لا يتكلم، فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم) حم تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرأتنا عربيا لقوم يعلمون)- فقرأ حتى بلغ- (أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)<sup>(lxxvii)</sup> فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحيم أن يكف عنه<sup>(lxxviii)</sup>.

<sup>lxx</sup>- أبو جهل، هو عمرو بن هشام بن المغيرة، و كنيته أبو الحكم، أبو جهل لقب، قتل يوم بدر كافرا في السنة الثالثة من الهجرة [راجع: جمهرة أنساب العرب، لأن حزم، حققه: عبد السلام هارون، ط.دار المعارف، القاهرة، س.ن.ص، 145، التبيين في أنساب القرشيين، لأن قدامة، حققه: محمد نايف الدليمي، ط.المجمع العلمي العراقي، 1402هـ، ص، 316]

<sup>lxxi</sup>- عتبة: هو ابن ربيعة بن عبد شمس، كان من سادات قريش قتل يوم بدر كافرا في السنة الثانية من الهجرة. [راجع: جمهرة أنساب العرب، ص، 14، التبيين في أنساب القرشيين، 176]

<sup>lxxii</sup>- هاشم: هو عمرو بن عبد مناف بن قصي، و هاشم لقب له (الهشمة الثرید لقومه). كان من أشراف قريش. [راجع: جمهرة أنساب العرب، ص، 14، التبيين في أنساب القرشيين، ص، 149، 39]

<sup>lxxiii</sup>- عبد المطلب، هو شيبة بن هاشم بن عبد منافين قصي، و إنما قيل له عبد المطلب لأن أبا هاشما حمله إلى مكة. في قصة جرت لشيبة. وقد غيرته الشمس، فقال أهل مكة هذا عبد المطلب. كان من أشراف قريش. [جمهرة أنساب العرب، ص، 14، التبيين في أنساب القرشيين، ص، 37]

<sup>lxxiv</sup>- عبد الله: هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

<sup>lxxv</sup>- الباة، النكاح و سمي كذلك لأن الرجل يتبعوا من أهله يستمken من أهله كما يتبعوا من داره. [راجع: لسان العرب، (مادة بوأ)، 42/1]

<sup>lxxvi</sup>- العقب، الولد و النسل، [راجع نفس المصدر، (مادة عقب) 1/716]

<sup>lxxvii</sup>- فصلت، 1-13

<sup>lxxviii</sup>- أخر الرواية البهقى في (دلائل النبوة)، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتب الله تعالى من الإعجاز، 202-204. و أخرجهما كذلك عبد الله ابن أبي شيبة في (مصنفة) ببعض الزيادة، كتب المغازى، باب أذى قريش للنبي صلى الله عليه وسلم و ما لقى منهم ، رقم حديث 37557، عن جابر بن عبد الله ط.مكتبة الرشد، بيروت، 1427هـ/2006م، 13/207-210م.

و في رواية حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السجدة فسجد فيها ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال سمعت قال فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورأي أني والله قد سمعت قولًا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة. يا عشر قريش أطیعونی واجعلوها بي. خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعترلوه. فو الله ليكونن قوله الذي سمعت نبأ. فإن تصبه العرب فقد كفيتهم بغيركم، وإن يظهر على العرب فملکكم، وعزه عزكم وكنت أسعد الناس به. قالوا سحرك - والله يا أبا الوليد بسانه. فقال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم». <sup>(lxxix)</sup>

فعلم يدل قول المغيرة في القرآن الكريم: "إن له لحلوة وإن له لطلاوة...." هل كان يعني المغيرة بالحلوة الهدایة القرآنية التي كان هو وأمثاله لا يطبقون سمعها وينفرون منها لأنها كانت تفتح عقولهم؟ أم كان يعني بالحلوة فصاحة القرآن وبلاغته؟ لا شك أنه عنى هذا. لأن العرب كانوا أهل هذه الصنعة و القرآن الكريم في الطبقة العليا من الفصاحة وفي الدرجة القصوى من الفصاحة ولهذا لما سمع المغيرة القرآن استولى على قلبه وجعله مشدودا إليه، فقال فيه ما قال.

و هكذا قول عتبة في القرآن الكريم: "لقد سمعت قول السحر والكهانة والشعر، و علمت من ذلك علما.....الخ" لم يرد عتبة إلا ما كان عليه القرآن من الفصاحة والبلاغة، ولهذا نفي عنه أن يكون من كلام الساحر أو الشاعر.

يقول شيخ ثناء الله امرتسري " لو كان المراد من المثلية <sup>(lxxx)</sup> المثل في الهدایة، لكن المراد الكلام لم يكن له معنى: إذ لم يخطر يوماً ببالهم (يقصد المشركين) أتا إن اجتمعنا على أن نأتي بكتاب في الهدایة مثل القرآن أتيانا به. بل كانوا يستكرون بشدة هدایة القرآن، كانوا يقولون

علي بن مسهر عن الأجلع ع الذيال بن حرملة عن جابر، علي بن مسهر و هو الكوفي: ثقة. [راجع: تقرير التهذيب، ط: دار إشائر الإسلامية، بيروت، 1408هـ/1988م، ص، 405، الأجلع هو ابن عبدالله الكوفي: صدوق، [تقس المصدر، ص، 96]

و ذيال بن حرمة و ثقة ابن حبان. [راجع: تعجيل المنفة بزوائد رجال الأئمة الأربع، لابن حجر، ط. مجلس دائرة المعارف الناظمية، جيدر آباد، الدکن، 1324هـ، ص، 12. فإسناد هذه الرواية جسن، إن شاء الله.

<sup>lxxix</sup> - أخرجاها البهقي في (دلائل النبوة)، باب: اعتراف مشركي قريش بما في كتب الله تعالى من الإعجاز، 205/2، وهذه الرواية مرسلة إذ قال فيها: "محمد بن كعب قال: حدث أن عتبة بن ربيعة .....". و محمد بن كعب هو القرشي أحد التابعين الثقات. [راجع: تقرير التهذيب، 212/2، و مرسل التابعي لا يحتاج به إلا بشرط اشتراطها بعض الأئمة لا تتطبق على هذا المرسل، لكن هذه الرواية عضدت بالروايات السابقة.

<sup>lxxx</sup> - إشارة إلى قوله تعالى: (فأنوا بسورة من مثله) [البقرة، 23]

مراراً: بدأ هذا القرآن و اتت بكتاب غيره (إنه يسبّ الْهَتْنَا وَ لَمْ يَكُنِ الْوَجْهُ الْمَعْقُولُ عندَهُمْ لِنَكْذِبِهِمْ لِلْقُرْآنِ سَوْيٍ: (أَجْعَلَ اللَّهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لِشَيْءٍ عُجَابٌ). فالقول لهؤلاء الذين تبرؤوا من القرآن و هدايته غير ملتفتين إلية، القول لمثل هؤلاء: ائتوا مجتمعين بكتاب- كالقرآن- يهدي الأنماط. قوله هندوسي أو نصراني لمسلم قد تبرأ من تعاليم الكتاب عندهم: إن كنت لا تؤمن بكتابنا المتضمن دعوة إلى الوثنية و التثليث فأنت بكتاب مثله في الهدایة".<sup>(lxxxii)</sup>

و لعل مما يدل على فساده أيضاً أن الله تحدي العرب أن يأتوا و لو بأحاديث مفتراء مختلفة. حيث قال: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلَهُ مُفْتَرِياتٍ) <sup>(lxxxiii)</sup> فكيف يتصور وقوع التحدي بالقرآن من جهة ما اشتمل عليه من الهدایة، و هي بعيدة كل البعد عن الكلام المفترى المخالق؟!

#### تحليل استشهاد سرسيد بواقع كلام الناس:

بينما سلف وجه استشهاد سرسيد بواقع كلام الناس على نفي الإعجاز في القرآن من جهة ما فيه من الفصاحة و البلاغة. و هو مما يمجه العقل و يلطفه. و يدل على بطلانه ما تأتي. دعوى أن كثيراً من الناس من لا يوجد لكلامهم في الفصاحة و البلاغة نظير و لامثال، دعوى باطلة، فلم و لن يحصل أن يظهر بلغ بكلامه أو شعره و يعجز الآخرون عن معارضته.

يقول الشيخ عبد الحق<sup>(lxxxiv)</sup> معقباً على استشهاد السرسيد بواقع كلام الناس على إنكار إعجاز القرآن بفصاحتها و بلاغتها: "أي ذلك الكلام البشري الذي لم يماثله إلى اليوم في الفصاحة و البلاغة كلام آخر مع قيام التحدي. نعم، لو ألف أحد كتاباً بيديعاً و لم يدع معيلاً فصحاء زمانه و بلغائه إلى معارضته، و انفق أن لم يرفع أحد منهم قلماً للكتابة لمدة، فلا يسلم هذا الكتاب من هذا الوجه أنه منزل من عند الله، و لكن لا يكون التحدي بقطعة من كلام مع دعوة الناس إلى الاجتماع على معارضته، و قد ثبت أنهم حاولوا المعارضه ولكنهم كفوا عن الإتيان بكلامهم،

<sup>lxxxiv</sup>- إشارة إلى قوله تعالى: (وَإِذَا تَنَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَ بِقُرْآنٍ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدْلَهُ) [يونس، 15]

<sup>lxxxv</sup>- التفسير الثاني، 1/43-44

<sup>lxxxvi</sup>- هود، 13

<sup>lxxxvii</sup>- عبد الحق: هو ابن أمير الدهلوى الشیخ العالیم الفقیہ المفسر المشهور. ولد بـ(كمتهلة) قریة من أعمال (أنباء) من أرض بنجاب سنة سبع و ستين و مائتين و ألف من الهجرة. و توفي سنة خمس و ثلاثين و ثلاثة و ألف من آثاره: فتح المنان في تفسیر القرآن، التبیان في علوم القرآن، عقائد الإسلام، التعليق على الحسامیز [راجع ترجمته في: نزهه الخواطر، 8/241-242]

لعلمهم بما فيه من نقص، بل و كان أضحوكة عند بني جلدتهم، لا يكون هذا إلا دليلا صريحا على أنه من عند الله<sup>(lxxxv)</sup>  
رأي المختار في إعجاز القرآن الكريم:

تناول علماءنا الأجلاء مسألة إعجاز القرآن الكريم و بحثوها بحثاً وافياً. و مما اتفقعليه كلامهم أن الوجه اللغوي هو أعظم و أشهر وجه لإعجاز القرآن<sup>(lxxxvi)</sup> و لا يقصد بذلك إنكار الوجوه الأخرى حاشيا و كلا. و اختلفوا فيما عدء من الوجه ما بين مؤيد لها و معارض<sup>(lxxxvii)</sup>

و الرأي الذي يميل إليه الباحث و يختاره في ذلك تحقق الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم على يصح التحدي به.

لهذا الرأي مر جحان، هما:

**المرجح الأول:** إن هذا الوجه سار في القرآن كله منظم له في سورة على اختلافها طولاً و قصراً. و القرآن الكريم- كما سبق- معجز و متحدى بقليله و كثيرة. و هذه النقطة في غاية الأهمية لا يحسن إهمالها عند بحث مسألة الإعجاز.

**المرجح الثاني:** إن المعجزة إنما تكون من جنس من برع فيه قوم كلنبي<sup>(lxxxviii)</sup> و القرآن الكريم- المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم- نزل في قوم كانت البلاغة سجيّتهم و التقى في الكلام فطرتهم. و من هنا كان إعجازه ببلاغته الخارقة و نظمه البديع.

**خلاصة القول:**

ليس القول بعدم الاعتداد بالوجوه التي تقدم عليها آنفا في مسألة الإعجاز والتحدي يعني تجريد هذه الوجوه من الفائدة بالكلية. و توفيق للموضوع حقه رأينا أن نختم هذا المبحث بذكر تلك الفائدة المنطقية عليها تلك الوجه في القرآن الكريم. فنقول:

إن ما اشتمل عليه القرآن الكريم من علوم كونية - شريطة تتحققها - وأخبار الغيب والشرائع غيرها تؤخذ من القرآن الكريم على أنها دلائل صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق فيما أخبر به.

عرض القاضي عبد الجبار للكلام على وجه (الإخبار عن الغيب) ، فذكر فائدته قائلا: " هذا الوجه مما يدل على النبوة"<sup>(lxxxix)</sup> ما فيه من ذلك يعد دليلا على أن القرآن من عند الله تعالى<sup>(xc)</sup>

<sup>lxxxv</sup>- مقدمة فتح المنان، عبد الحق، ط: نور محمد كارخانة تجارت كتب، كراتشي، س.ن.، 1/124

<sup>lxxxvi</sup>- انظر: الإعجاز البياني للقرآن، لعاشرة، ط: دار المعارف، القاهرة، س.ن.، ص، 82

<sup>lxxxvii</sup>- راجع: الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، و إعجاز القرآن، لفضل حسن.

<sup>lxxxviii</sup>- انظر: المواقف في علم الكلام، ص، 354، شرح المقاصد لمسعود النقاشاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط: عالم الكتب، بيروت 1419هـ/1998م، ص، 18/5

فثبتت من هذه الأطروحة أن القرآن له وجوه الإعجاز. و الإعجاز اللغوي من أشهرها وأوضحتها وأمثالها، وعليها أن نقف مع الوسطية و لا يصح إنكار شيء من ذلك و الحمد لله تعالى أولاً و آخرًا و الصلوة و السلام على نبينا محمد و على الله و صحبه و سلم.

<sup>lxxxix</sup> - المغني، 281/16

.<sup>xc</sup> - مقدمة الظاهر القرآنية 31

### المصادر والمراجع

- 1... آثار الصناديد، ط. اردو اكادمي، لكنهو، الهند 1990م
- 2... الإعجاز البياني للقرآن(دراسة قرآنية لغوية و بيانية)، لعاشرة عبد الرحمن، ط: دار المعارف، القاهرة، س.ن.
- 3... إعجاز القرآن للباقلانى، ط. عالم الكتاب، بيروت، 1408هـ/1977م
4. بعية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911هـ)، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية
- 5- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، ط: مطبعة حكومة الكويت س.ن.
- 6 ... تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ط: نشر دار الكتاب العربي، بيروت، س.ن.
- 7.....التبين في أنساب القرشيين، لابن قدامة، حققه: محمد نايف الدليمي، ط: المجمع العلمي العراقي، 1402هـ
- 8- تذكرة سر سيد أحمد خان، لزاهد جوهرى، ط: بشركت برنتك بريس، لاہور، باکستان، س.ن.
9. تذكرة علماء الهند ، لرحمن على ، مترجم: محمد أيوب القادرى، ط. طبع مشهور آفست، کراتشی، باکستان 1961م،
- 10... تعجیل المنفة بزوائد رجال الأئمة الأربع، لابن حجر، ط. مجلس دائرة المعارف النظمية، جیدر آباد، الدکن، 1324هـ
- 11- التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، 1405
- 12.. تفسير القرآن، لسرسید أحمد خان، ط: دوست ایسوسي ایتس، لاہور، س.ن.
- 13.. تفسیر القرآن بكلام الرحمن ، التفسیر الثاني، للشيخ ثناء الله أمرتسرى، اردو بازار لاہور س.ن.
- 14.. تقریب التهذیب، ط: دار ایشان اسلامیہ، بيروت، 1408هـ/1988م،
- 15... حیات جاوید، لألطائف حسين حالي، ط: زاہد بشیر برنتز، لاہور، 2000م
- 16... الخطبات الأحمدية في العرب و السيرة المحمدية ، للسرسید أحمد خان، ط. مسلم برنتك بريس، لاہور، س.ن.
- 17.. دائرة معارف اسلامية، ط دانش کاہ بنجاب، لاہور، طبعة الثانية 1980م
- 18.. دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد البيهقي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ/2002م
- 19.. سرسید کی تعلیمی تحریک، ، لأختر الواسع، ط: مکتبۃ جامعۃ لمیتید، دہلی، 1985
- 20.... الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهرى، حققه: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ/2007م
- 21... طبقات المعتزلة، لأحمد المرتضى، حققه: نخبة من العلماء، 1380هـ/1960م
- 22.. فیروز اللغات، لفیروز الدین، ط. فیروز سنر لمیتید، لاہور، باکستان، 1964م
- 23... الكامل في التاريخ، لابن الأثير، تعلیق: مجموعة من العلماء، ط: دار الكتب العربي، بيروت، س.ن.
- 24... لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر، بيروت، س.ن.

- 25...معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطى، حققه: علي محمد الباجوى، ط:دار الفكر، القاهرة، س.ن.
- 26..معجم مقاييس اللغة،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،حققه: عبد السلام محمد هارون،ط: دار الفكر ،1399 هـ
- 27.....المغني في أبواب العدل و التوحيد،لعبد الجبار،حققه أمين الخوily ، ط:دار الكتب ، القاهرة،1380 هـ/1960 م
- 28.....مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني،محمد عبد العظيم،ط:دار الفكر،بيروت،طبعة الأولى ، 1996ء
- 29....الموافق في علم الكلام،ص،354،شرح المقاصد لمسعود النقاشانى،حققه: عبد الرحمن عميرة،ط:عالم الكتب، بيروت 1419 هـ/1998 م
- 30...نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي بن فخر الدين الحسيني ، طبادرة تأليفات الشرقية ، ملتقى ، ملتقى